

## قراءات

### كتب بالعربية

طرد الفلسطينيين:

مفهوم الترانسفير في الفكر والتخطيط  
الصهيونيين، 1882-1948

---

نور الدين مصالحة

بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1992.  
293 صفحة. 7 دولارات.

---

أرض أكثر وعرب أقل:

سياسة "الترانسفير" الإسرائيلية  
في التطبيق، 1949-1996

---

نور الدين مصالحة

بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1997.  
331 صفحة. 8 دولارات.

---

إسرائيل الكبرى والفلسطينيون:  
سياسة التوسع، 1967-2000

---

نور الدين مصالحة

بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2001.  
399 صفحة. 9 دولارات.

---

يعتبر نور الدين مصالحة من أبرز الباحثين الذين ناقشوا قضية "الترحيل"، أو "الترانسفير"، في الفكر الصهيوني. وقد صدرت له حتى الآن هذه الكتب الثلاثة التي تعالج الموضوع. والواضح من العناوين أن الباحث تتبع مراحل سياسة "الترانسفير"، التي انتهجتها السياسة الصهيونية، بشكل تاريخي تسلسلي، منذ سنة 1882 حتى سنة 2000.

نبدأ من الكتاب الثالث بوصفه الأحدث. الجديد في هذا الكتاب أنه لا يكتفي بعرض مشاريع الترحيل التي وضعها المسؤولون الصهيونيون، بل يكشف لنا جانباً آخر في هذا الإطار، وذلك عندما يعرض أفكار الحركات الصهيونية المتطرفة التي ظهرت بعد حرب 1967، وأبرزها: حركة أرض إسرائيل الكاملة، وحركة غوش إيمونيم، والأحزاب الثلاثة التالية: هتسيا وتسومت وموليدت. وجميعها دعت بصراحة إلى عدم التخلي عن أي شبر من "أرض إسرائيل"، وبصراحة أو موارد، إلى تهجير الفلسطينيين بالقوة إلى خارج فلسطين.

على الرغم من العرض الجيد الذي يقدمه مصالحة في هذا الكتاب، فإن هناك نقطة مهمة لا بد من التوقف عندها، وهي أن عدداً من الأفكار والنصوص الواردة فيه قد ورد حرفياً في الكتاب السابق، "أرض أكثر وعرب أقل"، وهي تظهر للقارئ بوضوح لا لبس فيه في مواضع كثيرة. وقد يكون مصالحة وجد أن هذا التكرار لا بد منه نظراً إلى طبيعة الموضوع، أو أنه قصد ذلك لأنه ليس بالضرورة أن يطلع القارئ على الكتابين، بل قد يقرأ واحداً من الاثنين فتصل المعلومات إليه عبر أحدهما.

\* \* \*

يعالج الكتاب الأول "طرد الفلسطينيين..." مفهوم "الترانسفير" في الفكر الصهيوني خلال الفترة التي تمتد من سنة 1882 حتى قيام دولة إسرائيل سنة 1948. يبدأ مصالحة كتابه من سنة 1882 لأن هذه السنة هي، بحسب التاريخ الصهيوني، بداية الاستيطان الصهيوني في فلسطين. وهذا الكتاب غني جداً بالمعلومات، وخصوصاً بالنسبة إلى القارئ الذي يطلع أول مرة على مخططات الترحيل الصهيونية. وما يميزه من الكتابين اللاحقين أنه يكشف لنا تطور مفهوم "الترانسفير" في الفكر الصهيوني قبل قيام دولة إسرائيل؛ فجميع الأفكار والمخططات التي وضعت كانت إما في فترة الحكم العثماني للمنطقة، وإما في عهد الانتداب البريطاني. وهذا يعتبر، في حد ذاته، دليلاً كافياً على نية الصهيونيين المبيتة في الاستلاء على أرض فلسطين وتشريد شعبها بغية الحصول على الأرض واستيطانها.

ويبدأ مصالحه المعالجة تاريخياً منذ قيام الحركة الصهيونية، فمرحلة الانتداب البريطاني على فلسطين، وصولاً إلى قيام الدولة الصهيونية.

يبدأ الفصل الأول بعرض أفكار الترحيل التي راودت الآباء المؤسسين للصهيونية، أمثال بن - غوريون وزانغويل وجابوتنسكي. وما إن تنتهي مرحلة الأفكار حتى يعرض لنا الفصل الثاني المخططات التي وضعها كبار قادة اليشوف لترحيل الفلسطينيين عن أرضهم. وبعد أن تبلورت الأفكار إلى مخططات عملية يأتي دور التنفيذ؛ وهنا يبدأ الفصل الثالث ليعرض لنا عمليات الطرد الفعلي التي تمت خلال سنة 1948، والتي كانت تنفيذاً لأفكار بدأت مع بداية الحركة الصهيونية في فلسطين.

يرى مصالحه أن هاجس استيطان فلسطين، خالية من سكانها، من الأولويات التي شغلت فكر مؤسسي الصهيونية، ابتداءً من مؤسس الحركة تيودور هيرتسل. وكانت أفكار هؤلاء تصدر إماً على شكل بيانات وتصريحات، وإماً من خلال الكتب. وقد طرح هيرتسل فكرته في كتابه "الدولة اليهودية". أمّا إسرائيل زانغويل، فاتخذ من الشعار الذي أطلقه سابقاً اللورد شافوتسبوري والقائل: "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، أمثولة.

في الثلاثينات بدأ عهد مشاريع ومخططات "الترحيل". وقد انكب على هذه المخططات عدد من كبار الزعماء الصهيونيين، أمثال حاييم وايزمان وبن - غوريون.

شكل تقرير لجنة بيل سنة 1937 منعطفاً مهماً في قضية الترحيل، إذ طرح بصورة ضمنية عملية تهجير سكان فلسطين في إطار ما سمي عملية "تبادل سكاني". وانطلق الصهيونيون بشكل أقوى في تبرير مخططاتهم بعد صدور هذا التقرير. لهذا السبب اعتبر مصالحه حضور اللجنة الملكية وصدور تقرير عنها بداية مرحلة في حد ذاتها.

في هذه المرحلة تطورت المخططات الصهيونية إلى تأليف لجان عملت على دراسة عمليات الترحيل. وحتى سنة 1948 تم تأليف ثلاث لجان للترحيل. وكان يوسف فايتس، رئيس دائرة الأراضي في الصندوق القومي اليهودي، هو المنسق العام لهذه اللجان، وقدم خطته الأخيرة إلى قيادة اليشوف في نيسان/ أبريل 1948.

في سنة 1948 بدأت مرحلة التنفيذ مع بدء تطبيق الخطة "دالت" (Plan Dalet)، التي كان من أهدافها طرد الفلسطينيين إلى خارج حدود الدولة اليهودية، والتي وضعت موضع التنفيذ في آخر آذار/مارس.

وعلى الرغم من أن واحداً من الأهداف الرئيسية للخطة كان الترحيل، فإن الكاتب الصهيوني بني موريس ينفي ذلك، إذ يقول في كتابه "ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين 1947-1949"\* إن الخطة دالت لم تكن خطة أعدت لطرد الفلسطينيين، وإنما كانت محكومة باعتبارات عسكرية محضة.

لكن مصالحه يبرهن في كتابه أن هذه الخطة، التي تسببت بإفراغ عشرات القرى العربية من سكانها وتدميرها كلياً، ومنها القرى التي لم تكن تؤوي ميليشيا عربية، أو لم تسمح بدخول قوات عربية غير نظامية إليها، تقدم الدليل الواضح على وجود سياسة الأرض المحروقة والطرده.

ويسلط مصالحه الضوء على سياسة "المجازر" باعتبارها من أهم العوامل التي ساهمت في عملية "الترانسفير"، وقد بدأت عملياً في 9 نيسان/ أبريل 1948 مع مجزرة دير ياسين، ثم تلتها مجازر كثيرة ذهب ضحيتها مئات الفلسطينيين العزل. ومن الواضح أن السياسة الصهيونية كانت ترى في "المجازر" عاملاً نفسياً ضاعطاً يجبر السكان على الهروب. وقد استخدم الصهونيون سياسة الحرب النفسية استخداماً واسعاً، وكان يغال ألون من أبرز القادة الصهونيين الذين اعترفوا بتطبيق هذه السياسة.

في 26 تشرين الأول/ أكتوبر 1948 اختتمت لجنة الترحيل الثالثة أعمالها بتقديم توصية إلى بن - غوريون بمنع عودة اللاجئين إلى فلسطين، ما لبثت أن تحولت إلى قرار رسمي ما زال ساري المفعول إلى الآن.

توقف مصالحه في كتابه هذا عند نهاية سنة 1948 مختتماً مرحلة مهمة من مراحل "الترانسفير"، ليبدأ في كتابيه التاليين المراحل اللاحقة، لكنه يختم كتابه بفقرة معبرة نفضل اقتباسها كما هي إذ يقول:

"ثمة أمر واضح هو أن المعرفة الدقيقة والتفهم الأعمق للأحداث التي سبقت الطرد سنة 1948 أمران مهمان لمنع وقوع مثل هذه الأحداث في المستقبل." (ص 205)

شكل هذا الكتاب بداية انطلق منها مصالحه في معالجته الطويلة لموضوع "الترحيل"، مستخدماً مصطلح "الترانسفير". وقد برهن في هذا الكتاب أن مفهوم "الترانسفير" كان في صلب الاستراتيجية التي وضعها الحركة الصهيونية منذ بداية الاستيطان في فلسطين.

\* Benny Morris, *The Birth of the Palestinian Refugee Problem, 1947-1949* (Cambridge: Cambridge University Press, 1987), pp. 62-63.

\* \* \*

في كتابه الثاني "أرض أكثر وعرب أقل" يستكمل نور الدين مصالحه عرضه لسياسة "الطرد" الصهيونية من حيث توقف في كتابه السابق، أي من سنة 1949 إلى سنة 1996. ويبدو أن سنة 1996 هي التاريخ الذي انتهى فيه مصالحه من الكتابة، ولم يكن التوقف عنده لهدف معين.

الفكرة الرئيسية في هذا الكتاب تتعلق بمشاريع الترحيل التي قدمها وزراء ورسميون صهيونيون خلال هذه الفترة. وعلى الرغم من أن حزبي العمل والليكود تقاسما هذه المشاريع، فإن هناك أولويات اتفق عليها الحزبان، أهمها:

- أ- تجميع يهود العالم في فلسطين؛
- ب- استملاك واحتلال المزيد من الأراضي؛
- ج- استقدام المزيد من اليهود إلى فلسطين على حساب من سيتم ترحيلهم من الفلسطينيين.

قُسم الكتاب منهجياً إلى مرحلتين، تناقش الأولى سياسات الترحيل بين سنة 1948 وسنة 1967، وتعالج الثانية مرحلة ما بعد حرب 1967، وذلك في خمسة فصول.

اللافت أن هناك ثلاثة أسماء بارزة تتقاسم الأدوار في هذا الكتاب، وهي موشيه دايان ومناحم بيغن وأريئيل شارون، حيث نجد أفكار هؤلاء الثلاثة في مختلف مراحل الكتاب. واللافت أيضاً أن دافيد بن - غوريون كان هو المشرف على معظم مخططات الترحيل خلال الخمسينات، وهو الذي قال: "إن ما يقوله الأغيار ليس مهماً لكن المهم ما يفعله اليهود."

في المرحلة الأولى، يكشف لنا مصالحه المشاريع التي عكف عليها كبار الوزراء والرسميين الإسرائيليين في سبيل تهجير المزيد من الفلسطينيين من الأراضي التي اتفق على تسميتها "أراضي 1948"، ومن أبرز هؤلاء كان موشيه دايان الذي شكّل سنة 1953 الوحدة "101" بصفته رئيساً للأركان، وكانت الوحدة بقيادة أريئيل شارون وبرعاية دافيد بن - غوريون. وكان من مهماتها تنفيذ سياسة الطرد الجماعي بشتى الوسائل، وقد قامت سنة 1955 بارتكاب مذبحه ضد افراد عشيرة العزازمة.

يعرض لنا الكتاب عدداً من مخططات ومشاريع "الطرد" التي وضعها كبار المسؤولين الصهيونيين، لكن أهم ما يكشفه لنا مصالحه في هذا الإطار، عمليتان تعتبران، في نظرنا، بالغتي الأهمية:

الأولى، أعدها فايتس سنة 1950، وعرفت بالعملية الليبية، وقوامها تهجير عرب فلسطين إلى ليبيا، ومبادلة أملاك العرب في إسرائيل بتلك التي يمتلكها يهود شمال إفريقيا المهاجرون إلى إسرائيل. وتبعتها خطة موشيه ساسون في هذا الإطار، وقد تمت جهود كبيرة في سبيل تنفيذها بطريقة سرية، إلا أن الكشف عنها سنة 1958 أوقف تنفيذها.

الثانية، عملية حفّيرت، وهي خطة سرية أشرف عليها موشيه ديان بغية تنفيذها عشية حرب سيناء سنة 1956 لإجلاء السكان العرب عن المثلث الصغير بالقوة، وهي تعرف في سجلات الجيش بالخطة "س 59". لكن العملية فشلت لأن الأردن لم يدخل في حرب مع إسرائيل، وبالتالي لم يتمكن هؤلاء من استغلال الحرب لطرد السكان.

لكن يتسحاق رابين، الذي كان قائد القوات الشمالية، استغل الهجوم على مصر في الجنوب، ونفذ بعد يوم واحد من مجزرة كفر قاسم، عملية طرد نحو 2000 إلى 5000 شخص من قرىتي كراد الغنامة وكراد البقارة عبر الحدود الشمالية الشرقية إلى سورية.

بصورة عامة، يختصر مصالحه ما تميزت به السياسة الإسرائيلية تجاه "عرب إسرائيل" حتى سنة 1967: تطبيق الحكم العسكري، وممارسة التمييز العنصري، ومصادرة الأراضي؛ أي تضيق الخناق على السكان لحملهم على الهجرة.

أما المرحلة الثانية فتبدأ بعد حرب 1967، التي شكلت فعلاً بداية مرحلة جديدة في تاريخ الصراع العربي - الإسرائيلي، وفيها "بلغت الصهيونية أخيراً هدفها في السيطرة على كل فلسطين" (ص 77). ومع هذه المرحلة، عادت الأحلام التوسعية تغزو مخيلة كبار المسؤولين الصهيونيين، وعادت مقولة "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" إلى الواجهة. لكن الجديد هنا، أن مشاريع الترحيل لم تعد تقتصر على عرب 1948، بل أصبحت تركز أيضاً على سكان الضفة الغربية وقطاع غزة.

مجدداً، عاود فايتس ودايان، إضافة إلى بيغن، وضع الخطط والمشاريع. في بداية السبعينات وضع دايان خطة لتهجير الفلسطينيين إلى أميركا الجنوبية.

ويعرض لنا مصالحه بشكل مفصّل عمليات الترحيل التي مارسها الصهيونيون حتى التسعينات، ويكشف عن مخططات تهويد الجليل والنقب والمحاوالات المستميتة لترحيل البدو عن منطقة بئر السبع.

ثم يلقي الضوء على جانب آخر من سياسة الترحيل، وهو عمليات الإبعاد التي كانت تطال الأفراد من هنا وهناك. واللافت أن هذه السياسة كانت تطبق في عهد حزب العمل بشكل أقوى مما كانت عليه في عهد الليكود. أما حكومات الليكود المتعاقبة، فلم تكن أحسن حالاً؛ إذ دعا عدد من

زعماء الحزب، بصورة واضحة، إلى المزيد من التوسع والضم، وإلى العمل على تهجير أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين. وفي هذا الإطار دعا مناحم بيغن، في إثر حرب 1967، إلى تدمير مخيمات اللاجئين في الضفة الغربية وغزة وترحيل سكانها إلى صحراء سيناء. وفي الثمانينات رأى أن على الدول العربية أن تستوعب لاجئي مخيمات لبنان. أما شارون فلم يشذ عن القاعدة، بل مارس سياسة أكثر قمعاً وتشدداً، ووصل به الأمر في الثمانينات إلى تحذير الفلسطينيين من عدم نسيان درس سنة 1948. وبعد أن تسلم حقيبة وزير الدفاع سنة 1981، طبق سياسة القمع الوحشي، وأخذ يسحق المعارضة الفلسطينية للاحتلال الإسرائيلي.

في سنة 1989، صرح بنيامين نتنياهو أنه كان على الحكومة الإسرائيلية أن تستغل الأحداث الدولية الملائمة، مثل مذبحه ميدان تيانامين في الصين في حزيران/ يونيو 1989، بحيث تنفذ عمليات الطرد على نطاق واسع بينما يكون انتباه العالم مشدوداً نحو ما يجري في الصين.

اللافت في المشاريع التي يكشفها هذا الكتاب، أنها كانت تشجع الترحيل بأية وسيلة ممكنة، قد تكون حرباً، أو عمليات انتقامية، أو تضييقاً اقتصادياً، فالمهم هو أن يتم تفرغ فلسطين من أكبر عدد ممكن من سكانها؛ إذ إن المعركة الطويلة المستمرة للصهيونية ضد الفلسطينيين كانت، ولا تزال، معركة من أجل "أرض أكثر وعرب أقل".

يعتبر هذا الكتاب غنياً جداً من حيث كمية المعلومات التي حصل عليها مصالحه من الأرشيفات الصهيونية والرسمية. كما أن الكاتب رأى، عبر تقويمه للوضع السائد في سنة 1996، أن إمكان تفجر انتفاضة جديدة أمر غير مستبعد. وهو ما حدث فعلاً في نهاية سنة 2000.

\* \* \*

ساهمت كتابات نور الدين مصالحه مساهمة كبيرة في رفع الستار عن مشاريع ومخططات "الترانسفير"، وكشفت لنا بوضوح حقيقة الأطماع الصهيونية في التوسع على حساب الأرض العربية. ومما ساعد الكاتب في ذلك، اطلاعه على المحفوظات والأرشيفات والوثائق الصهيونية والرسمية من مصادرها العبرية. كما أن هذه الكتب الثلاثة تشكل مرجعاً مهماً لكل باحث يهتم بدراسة موضوع "الترانسفير".

**سناء حمودي**

باحثة في الشؤون الفلسطينية

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)  
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
[http://www.palestine-studies.org/ar\\_index.aspx](http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx)